الرئيس عرفات لأن يلقي كلمته امامه بالطريقة ذاتها التي دعا فيها، في الماضي القريب، رؤساء حكومات دول عديدة، أطراف في نزاع الشرق الاوسط. ليس كافياً ان يُسمع لمواقف الأطراف المصرية والاردنية والسورية واللبنانية والاسرائيلية. انه مهم، بالدرجة ذاتها، وربما بدرجة اعلى، ان يسمع صوت ممثل الشعب الفلسطيني، الذي هو الضحية الكبرى للنزاع العربي ـ الاسرائيلي.

كانت المواقف الاوروبية الغربية حول مسائل الاعتراف بـ م.ت.ف. وبالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وباقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، أسباباً وراء اخفاق، أو على الأقل تأجيل، الحوار العربي ـ الاوروبي، الذي بدأ فوراً بعد حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣. لقد عكس بدء الحوار هذا، والزخم الذي شهده في السنوات التالية، حاجة أوروبية غربية، ومصلحة قومية لبلدان اوروبا الغربية، بعد ان أدت ازمة النفط ـ كما ذكرنا آنفاً ـ والتضامن العربي والموقف العربي الموحد ازاء الموضوعات الكبرى المتعلقة بالمصلحة العربية القومية، الى أن تظهر بلدان اوروبا الغربية مواقف أكثر تعاطفاً ازاء الموضوع الفلسطيني وازاء النزاع العربي ـ الاسرائيلي. وقد انعكس هذا التعاطف في كثير من المواقف المعلنة التي تبنّتها السوق الاوروبية المشتركة في ذلك الوقت. والأمثلة على ذلك «بيان بروكسل» الصادر في السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣، و «اعلان لندن» الصادر في حزيران (يونيو) ١٩٧٦، و «اعلان البندقية» الصادر في ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٨٠، و «اعلان شتوتغارت» الصادر في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٨٢، و «اعلان بروكسل» الصادر في ٢٨ آذار (مارس) ١٩٨٣. ولهذه «الاعلانات»، التي لن نحللها هنا، أرضية مشتركة عُبِّر عنها وأشير اليها في اعلان البندقية الذي اصبح، منذ تبنّيه، حجر الزاوية لمواقف اوروبا الغربية ازاء المسألة الفلسطينية. وقد اعيد التأكيد على هذا في اعلان بروكسل، في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٨٧، والذي جاء فيه:

«... انهم [أي الاعضاء في المجموعة الاوروبية] قد حددوا المبادىء التي يجب ان تستند اليها الحلول في مناسبات عديدة، وخاصة في ' اعلان البندقية ' الصادر عنهم».

وقد فشل الحوار العربي ـ الاوروبي في تحقيق مزيد من التقدم حول هذه الموضوعات، لأن اوروبا الغربية أصبحت أسيرة لهذه المواقف. فهي لم تظهر الشجاعة اللازمة لأن تتجاوز هذه المواقف وان تلتقي مع المواقف العربية والفلسطينية على منتصف الطريق. كانت اوروبا الغربية تخشى من تعهد التزامات سياسية جديدة حول الشرق الاوسط، خوفاً من ان تتعرض لضغط من الادارة الاميركية واسرائيل. وقد تزامن هذا، أيضاً، مع تشكيل الولايات المتحدة الاميركية لسياساتها المعادية للفلسطينيين، والتي يمكن تلخيصها في التزامات سرية من وزير الخارجية الاميركية ومستشار الامن القومي، هنري كيسنجر، لاسرائيل، بأنه لا اعتراف بـ م.ت.ف. ولا محادثات معها، ولا دولة فلسطينية.

انه، فعلاً، ضروري، بالنسبة الى اوروبا الغربية، ان تطور موقفها بهذا الخصوص، وان تستأنف الحوار العربي ـ الاوروبي من حيث تركته، أي القبول بالمعاني السياسية للتحادث مع م.ت.ف. والاعتراف بها، بصفتها العامل الأكثر أهمية في معادلة الشرق الاوسط.

الموقف الاوروبي المطلوب

يمكن لبلدان السوق الاوروبية المشتركة ان تطور هذا الموقف، وان تعيد صياغة اعلان البندقية وفق الخطوط التالية:

١ ـ يجب عليها ان تعترف بـ م.ت.ف. بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب